الفونيقيون آراميون

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني (†)

لا شك في ان الفينيقيين اجداد اللبنانيين المباشرين ليسوا بكنعانيين . بل هم فينيقيون آراميون سريانيون وندعم قولنا بتسعة ادلّة .

١ً : اسمهم الفينيقيّ . فانه مهما تضاربت الآراء في تخريجه وتأويله فاد أقربها الى الحقيقة ما رجّحه افاضل اللغويين اذ قالوا انه لفظ آراميّ مشتق من فعل ومعناه تقلّب في خفض من العيش وأمعن في الترف والسعة . وهذا الترجيح يشير اليه الكتاب الكريم (قضاة ١٨ : ٧) بقوله ان الرجال الخمسة ساروا الى لايش ورأوا الشعب الذين بها ساكنين مطمئنين وليس من يزعجهم في ارضهم ولا من يتسلّط هناك وكان بعيدين من الصيدونيين وليس لهم بينهم وبين احد علاقة . فقد تعوّد الفينقيون منذ اول امرهم الاخلاد الى الراحة والنزوح الى موادعة جيرانهم ومهادنة عملائهم وما برح هذا الروح النقيّ والشعور الطيب يتنقّل الى ابنائهم واحفادهم حتى اليوم .

٢ً : استنباطهم صُوَر الحروف الابجدية الآرامية الاصلية التي عنهم اخذها اليونان فالعبرانيين فالرومـان فالفرس وغيرهم من الامم المتمدنة حتى العرب . وقد روت اساطير اليونان والسريان ان قبيلة فينقية ارامية ارتحلت من اقصى ارض الاراميين الغربية اعني من سواحل البحر الفنيقي وتوغّلت في بلاد يونان وعلى رأسها رجل آراميّ النحلة يقال له قدمو هيما وعلّمتهم صناعة الخط . فاصبحوا يكتبون بالحروف الارامية . واحتذى باليونـان الرومانيون وغيرهم . ثم جاء العرب فتلقّنوا الخط توًّا عن السريان وكتبوا في اول الامر ابجد هوز حطي وابقوا الحروف المقطوعة في السريانية مقطوعة في العربية نحو ا د ذ ر ز و لا . وعلى تمدح العرب وتفاخرهم بلغتهم العربية لم يتمكنوا من استنباط صورة حرف واحد جديد مختص بلغتهم كالضاد مثلاً والظاء فتركوهما بصورتي الصاد والطاء وفقاً لوضعهما السرياني الاصلي .

٣ً . اسماء آلهة الفينقيين القديمة فهي آرامية بحتة او ممحوتة عن الآرامية كقولك : ايل بعل عنرام لبنون عليون تموز فينيق دامور . ملك قرت اشتون شيما الخ .

٤ً : اعلام الملوك الفينقيين في اوطانهم اللبنانية وفي مستعمراتهم البعيدة . من ذلك : ابي شامو احيرام حزيرون ديب عدي ملكيصاف عزبعل ملوك جبيل . ثم عبد ملكوت اشمنعذر عبدولونيم صدقيتين ملوك صيدون . ثم ايت بعل متان ايلولي بعل ملكوت ملوك صور . ثم ححل قار برماكو حيبعل برخا حنون ملوك قرطاجنة الخ . فهذه الاعلام برمتها اد تمحّلناها وصفّيناها ظهرت وضعيتها السريانية ظهوراً جلياً لا يدع مجالاً للشبهة في صحتها بتة .

٥ً اسماء مدن الفينقيين وقراهم في لبنان خصوصاً فهي آرامية سريانية بحتة نذكر منها : صيدون صور بيروتا جبيل بعلبك . ثم بتدين برمانا بزمار بزينا بسابا بشامون بشري بصفري بعبدا بعقلين بقعتوتا بقرقاشا بكركي بكفيا الخ . ونحو كفربعال كفربيت كفرتعلا كفرحاتا كفرحتنا كفر رمان كفرزينا كفرشوبا كفرشيما كفرفاقود كفرفيلا كفرقوق كفرمشكي الخ . وننبّه ان هذه الاسماء باسرها ما برح الاهالي يلفظونها حتى اليوم باسكان اولها طبقاً لوضعها السرياني وخلافاً للاصول العربية . زد عليه ان الباء في اول بعضها ممحوتة عن بيت صه السريانية بمعنى المكان و « كفر » في البعض الآخر يراد بها القرية او الكورة .

٦ً : اسماء المدن في المستعمرات الفينقية . فهناك في افريقية : قرطاجنة وعانيقة وبونة او هبونة وشالا وآزيلا وتشمش وشبرو وارجنيا وكيفا . وفي بلاد اليونان : طبتا وشيرتا وايل أديا وبوصية وتيناي وقلعة قدمو الخ . وفي اسبانيا : مالقة وغادير وكناري ومبتريل الخ . وقس عليها مالطة وغوزو وكيمونا ومونا كو الخ . فهذه المدن باجمعها قد احتلها الفينقيون في غابر الاجيال وأطلقوا عليها اسماء آرامية سريانية يثبت لهذا العهد مع بعض تحريف .

٧ً : الفاظ آرامية وضعها الفينقيون في رحلاتهم على افواه اهالي مستعمراتهم فالتقفها اليونان واستعملوها في حديثهم ثم ادمجوها في لغتهم واثبتوها في قواميسهم . واغلب تلك الالفاظ تتناول بضائع او سلعاً اعتاد الفينقيون نقلها اليهم من لبنان وسورية لاجل المتاجرة . نذكر منها شيرا اي الحرير والبوص والسمسم والارز والقنّب . ومنها اسماء معادن ثمينة مثل المرجان والفيروز

والبلّور والياقوت والزمرّد . ومنها اسماء عقاقير كاللبان والمرّ والنرديين والزوفا والبلسم . ومنها آلات طرب كالقيثارة والكنّارة الخ . فهذه الالفاظ باسرها آرامية سريانية محضة ما برح اليونان يستعملونها في لغتهم الفصحى الى هذا اليوم .

٨ً : اثار الفنيقيين وسكوكاتهم في وطنهم اللبناني وفي مستعمراتهم . فقد صرح ثقات المؤرخين ان الفنيقيين الاراميين هم اول من سكّوا النقود ترويجاً لتجارتهم الواسعة في مختلف البلدان الشرقية والغربية برّاً وبحراً وحفروا عليها بعض حروفهم الآرامية ليميزوا صحيحها من فاسدها . ومن امثال سكتهم هذه القديمة النسية اسطوانة في المتحف البريطاني نُقر عليها بالآرامية لفظ « حور ادد » واسطوانة ثانية نُقر عليها لفظ « حرقو » السرياني بمعنى السعر المحدود وغيرهما .

٩ً : اخيراً لهجة اللبنانيين عامةً . فانه على رواج اليونانية بين ظهرانيهم قديماً وعلى تكلمهم وكتابتهم بالعربية منذ القرن الخامس عشر خصوصاً وعلى انصرافهم الى اتقان الفرنسية في عهدنا فقد ظلت اللهجة الفنيقية الارامية عالقة باذهانهم راسخة في ادمغتهم لاصقة بالسنتهم مدوّنة في ابلغ مقالاتهم ومتغلغلة في افصح كتاباتهم . وستظل كذلك الى ما شاء الله تعالى[1] والسلام .

(١) المشرق ٣ [١٩٠٠] ٤٥ وبحوث : الفن في التاريخ ٣ : ٦٣ و٦٤ ومقدمة النحو السرياني للمطران يوسف داود ١٦٠ وتاريخ ميخائيل الكبير ٢٥ و٦٧ و٧٠ .